وما سواها (344)

العلـــم وأمـــة العلـــــم!!

د. صـادق السامرائـي الطب النفساني، العراق / أمريكا

الذي أطلق روح الأمة وأدلق مكنوناتها المعرفية، هو الإسلام، الذي أعلم الناس بضرورة تفعيل عقولهم، ورؤية الأنوار التي تكشف لهم خارطة المسير نحو العلاء والرقاء.

ولم تكن كلمة "إقرأ " عبثا أول الكلمات، بل نداء وثاب للإهتمام بالعلم، فهو النور المقصود والأمل المنشود لبناء الوجود الإنساني المطلوب.

فالبشرية عليها أن تمتطي جياد العلم وتتسلق بوعيها نحو الإشراق المبين.

وعندما أدركت الأمة حقيقة رسالتها في عصورها الذهبية، تألقت وتقدمت وأمسكت بالريادة في ميادين العلوم المتنوعة.

وما تركته من مدونات معظمه محذور التداول، ومكنوز في ظلمات مخازن ومتاحف ومكتبات الدول الغالبة.

وهذه وقفات أزاء محنة الأمة العلمية:

أولا: أمة العلم والعلم!!

أمتنا يقتلها اللاعلم والعلم فوق ظهورها محمول، عندها كنوز المعارف فتغفلها، ويوهمها أعداؤها بأنها أمة متخلفة متأخرة عاجزة عليها أن تتبع وتقبع.

فذخائرها الحضارية نائمة فوق رفوف الإهمال والتضليل والبهتان.

أمتنا من أغنى الأمم بموروثها الثقافي، وفي مسيرتها عقول معرفية ألمعية فذة، وجهابذة علوم لا مثيل لهم عند باقي الأمم.

والعلة الأساسية الفاعلة فيها، جهل أجيالها بتراثها الإنساني المنير، وقد حقق أعداؤها أهدافهم بعزل أبنائها عن جوهرها، ووجدتنا تحت مطرقة التراث والمعاصرة على مدى عقود، حتى توهمت الأجيال بأن عليها أن تنبذ تراثها وتنأى عن تأريخها.

والهدف أن تُسلخ الأمة عن أنوار ماضيها وتضيع في حاضرها ولا تفكر بمستقبلها، ولكي يتحقق هذا الإنجاز تم إستهداف مرتكزات وجودها القوية وهي الدين واللغة والشعر، وبموجب ذلك تأسست الأحزاب المؤدينة، وتحشدت الأقلام للهجوم على لغة الضاد وتهميش دورها وإضعاف قيمتها وأهميتها، ووصفها بما هو سلبي ومناهض لحقيقتها، وما فيها من قدرات وطاقات تعبيرية متواكبة مع العصور التي تكون فيها.

أما الشعر فأن الهجمة عليه كانت بإسم الحداثة والتجديد، فتم تسويق الذين إنطلقوا في إبادة العمود الشعري، وتحويلهم إلى رموز، وما هم إلا صدى للآخرين، وعن قصد أو غير قصد قاتلوا الشعر بالشعر، فأصابوه بأضرار فادحة، وما جاؤوا به لن يدوم إلى حين.

الذي أطلق روح الأمة وأدلق مكنوناتها المعرفية، هو الإسلام، الذي أعلم الناس بضرورة تفعيل عقولهم، ورؤية الأنوار التي تكشف لهم خارطة المسير نحو العلاء والرقاء.

ولم تكن كلمة "إقرأ " عبثا أول الكلمات، بل نداء وثاب للإهتمام بالعلم، فهو النور المقصود والأمل المنشود لبناء الوجود الإنساني المطلوب

أمتنا يقتلها اللاعلم والعلم فوق ظهورها محمول، عندها كنوز المعارف فتغفلها، ويوهمها أعداؤها بأنها أمة متخلفة متأخرة عاجزة عليها أن تتبع وتقبع

أمتنا من أغنى الأمم بموروثها الثقافي، وفي مسيرتها عقول معرفية ألمعية فذة، وجهابذة

ولن يتمكن أعداء الأمة من تدمير دينها ولغتها وشعرها، لأن في الأمة طاقات حيوية قادرة على بناء ذاتها، وتأهيل موضوعها للحياة الحرة المعاصرة.

فهل لنا أن نعرف تراثنا وقيمة أمتنا، ودور الدين واللغة والشعر في صيانة وجودنا العزيز؟!!

ثانيا: العربية لغة العلم!!

اللغة صالحة للتعبير عن الأفكار العلمية، أيا كان نوعها ومستواها ودرجة تعقيدها، فلا توجد لغة لا تصلح للعلم.

العلوم أفكار واللغات وسائل للتعبير عن الأفكار.

ذات مرة بحثت عمَّن يرشدني إلى مكان ما في مدينة كويتو اليابانية، وبعد مشقة وعناء وجدت فتاة تتكلم الإنكليزية بصعوبة، وأرشدتني إلى ما أريد، وعندما شكوت لصديقي الياباني ما عانيته، أجابني " لا نحتاج تعلم لغة أخرى، فلغتنا تكفينا للتعامل مع العصر ومستجداته".

فالعيب ليس في اللغات وإنما بأهلها، فهي مرآتهم وهويتهم، فأنى يكونوا تكون لغاتهم.

فلماذا نتوهم ونوهم الأجيال بأن العيب في لغتنا العربية وليس فينا؟

أ لم تكن لغة العلم لقرون وتدرَّس بها العلوم في الجامعات الغربية؟

أ لم تستوعب علوم الدنيا وتطورها وتضيف إليها، في بيت الحكمة البغدادي في صدر الدولة العباسية؟

أ لم تدرِّس سوريا بالعربية علومها، وحتى الطب؟

إن الذين يصفون العربية بالقصور أدمغتهم مبرمجة بآليات تعبوية لتأمين الإستعمار الناعم، الذي هو أخطر من الإستعمار الخشن أو المباشر.

العربية لغة كل شيئ ومَن يصفها بغير ذلك لا يساوي شيئا!!

ثالثا: العلم قوتنا!!

عصرنا عصر القوة ولغته القوة وأصل أبجدياته، ومنبع القوة من العلم، فالعلم قوة وقدرة وحياة، وإذا أنكرت المجتمعات العلم، فالضعف والهوان حليفها، ولا تستطيع أمة أن تكون بدون العلم.

ولكي تتحقق إرادة أمتنا عليها بالعلم والتعليم المعاصر من المراحل الإبتدائية حتى الجامعية وما بعدها.

فالتعليم المعاصر يبني العقول ويطلق الأصيل، وكلما قويت الأمم تقوت مناحي وجودها المتصلة بها والمعبرة عنها.

وتكون قوتها ظاهرة في إبداعاتها بأنواعها.

ولو أخذنا الشعر – مثلا – فأن شعراء الأمة الكبار قد ولدوا من رحم قوتها وإقتدارها، فشعراء المعلقات من قبائل قوية وفقا لمفهوم القوة آنذاك، وفطاحل الشعراء العرب برزوا في زمن الدول العربية القوية كالأموية والعباسية وفي الأندلس القوية.

فتلك القوة الحضارية الساطعة أوجدت شعراء لا تزال أسماؤهم وأشعارهم متداولة عبر الأجيال، فقوة الأمة بكياناتها تؤدي لولادات قوية معبرة عنها.

وما دام الشعر في أكثره يعبر عن واقع مكانه وزمانه، فأنه يتناسب طرديا مع ذلك الواقع، فيهون الشعر بهوان الواقع ويكون قويا بقوته.

ولهذا فأن الكلام عن شعر جيد وعذيب لا معنى له في واقع ضعيف، لأن ما يأتي به أي إبداع سيكون متوافقا مع الضعف السائد.

وعليه فأن الجهود يجب أن تتركز على بناء القوة بالعلم والعمل، لكي نتمكن من عطاءات إبداعية ذات

علوم لا مثيل لهم عند باقي الأمم

العلة الأساسية الفاعلة فيها، جهل أجيالها بتراثها الإنساني المنير، وقد حقق أعداؤها أهدافهم بعزل أبنائها عن جوهرها، ووجدتنا تحت مطرقة التراث والمعاصرة على مدى عقود، حتى توهمت الأجيال بأن عليها أن تنبذ تراثها وتنأى عن تأريخها

الهدف أن تُسلخ الأمة عن أنوار ماضيها وتضيع في حاضرها ولا تفكر بمستقبلها، ولكي يتحقق هذا الإنجاز تم إستهدافه مرتكزات وجودها القوية وهي الدين واللغة والشعر

لن يتمكن أعداء الأمة من تدمير دينها ولغتها وشعرها، لأن في الأمة طاقات حيوية قادرة على بناء ذاتها، وتأهيل موضوعها للحياة الحرة المعاصرة

العيب ليس في اللغات وإنما بأهلها، فهي مرآتهم وهويتهم، فأنى يكونوا تكون لغاتهم.
فلماذا نتوهم ونوهم الأجيال بأن العيب في لغتنا العربية وليس فينا؟
أ لم تكن لغة العلم لقرون وتدرَّس بها العلوم في الجامعات الغربية؟

رابعا: العلم قائد الإبداع!!

إذا تقدم العلم تقدم الإبداع، والمجتمعات المتقدمة علميا ذات إبداع متقدم.

وما أنتجه العرب منذ بداية القرن التاسع عشر لا يساوي شيئا، لأن العلم في ديارهم بلا قيمة، وإن لم يتقدموا علميا، لن يأتوا بإبداع أصيل.

قد يقول قائل أن نجيب محفوظ قد نال جائزة نوبل، وهذا إستثناء نادر!!

إن سؤال لماذا لا نتقدم، أجابت عليه العقول العربية المبعوثة إلى الغرب، قبل قرن ونصف، وخلاصته أن العلم هو السبيل الأمثل للتقدم، فثار المتأدينون وإعتبروا المسير فيه بدعة ضد الدين، بل أفتوا بأن العلم من الكفر!!

أي أنهم كفّروا النشاطات العلمية والتفكير العلمي!!

ولا زلنا نرى العلم كفرا، وإن لم نصرّح بذلك قولا، فالعمل وما نحن عليه من نكران للعلم، يشير إليه بوضوح ساطع.

فهل وجدتم الذين يصدحون فوق المنابر وفي وسائل الإعلام، قد أشاروا إلى العلم وأهميته ودوره في صناعة الحياة الوطنية العزيزة؟

هل وجدتم إهتماما بالتعليم المعاصر؟

هل أن المدارس الإبتدائية التي نحشر فيها فلذات الأكباد تليق بالبشر؟

إن جوهر ما تعانيه الأمة يتلخص بعدم إهتمامها بالعلم والتعليم، وما نتداوله من موضوعات عبارة عن مُلهيات ومُغفِلات لإيهام الأجيال بأنها تتفاعل مع الحياة!!

فلا قيمة لما نكتبه وننشره، لأنه يتعاطى موضوعات فارغة محشوة بالغابرات، التي تداولتها الأجيال في زمانها عدة مرات، وما أتينا بجديد، فلو تفحصتم ما كتبه أفذاذ الأمة قبل أكثر من ألف سنة، لتبين بأنه متفوق على ما نكتبه اليوم بجوهر ما فيه!!

إن المتوهمين بأن الكتابة في الأدب والتأريخ والدين ستساهم في توعية الأجيال، عليهم أن يتحرروا من قبضة أوهامهم، ويتخذوا العلم طريقا للرقاء.

فالأمم بالعلم تكون، لا بالأدب والتأريخ والدين وحسب، فهذه مشتركات موجودة في المجتمعات البشرية.

فهل من ثورة علمية ذات بصرٍ حديد؟!!

خامسا: الأمية العلمية!!

المستقبل علمي صناعي، والمجتمعات القوية تهتم بالبحث العلمي والإبتكارات التصنيعية، فالعالم يسير على سكة معبّدة بالعلوم، والدول المتقدمة تخصص ميزانيات ضخمة للنشاطات العلمية.

ويمكن تقدير القوة العلمية لأي بلد من براءات الإختراعات الممنوحة فيه، ومن الواضح أن دولنا تأتي في آخر القائمة، لأن الأمية العلمية تعصف بأرجائها، فتمحنت بالمشاكل وعجزت عن حلول ذات قيمة عملية، وأصبحت تتوسل بالدول الطامعة فيها لحل مشاكلها، وتتناسى بأنها تحقق مصالحها بواسطتها.

فالدول القائدة للعالم هي الفائزة بأكثر براءات الإختراعات، وقد إنطلقت دول أسيا الشرقية في الربع الأخير من القرن العشرين نحو التأسيس لمراكز للبحوث العلمية، وحشدت الجهود لبناء القاعدة العلمية اللازمة لتقوية الحياة وتطويرها، وأكثرها نجحت وإنطلقت في مسارات أوصلتها إلى مصاف الدول المتقدمة، فبرعت بالصناعات المؤثرة في الحياة المعاصرة.

إن الذين يصفون العربية بالقصور أدمغتهم مبرمجة بآليات تعبوية لتأمين الإستعمار الناعم، الذي هو أخطر من الإستعمار الخشن أو المباشر

العربية لغة كل شيء ومَن يصفها بغير ذلك لا يساوي شيئا!!

عصرنا عصر القوة ولغته القوة وأصل أبجدياته، ومنبع القوة من العلم، فالعلم قوة وقدرة وحياة، وإذا أنكرت المجتمعات العلم، فالضعف والهوان حليفها، ولا تستطيع أمة أن تكون بدون العلم

أن الجهود يجب أن تتركز على بناء القوة بالعلم والعمل، لكي نتمكن من عطاءات إبداعية ذات قيمة حضارية!!

إن جوهر ما تعانيه الأمة يتلخص بعدم إهتمامها بالعلم والتعليم، وما نتداوله من موضوعات عبارة عن مُلهيات ومُغفِلات

ودول الأمة متمحنة بالمعضلات، لأنها تناست العلم وأنكرته، وأشاعت الجهل ورسخت الأمية الشاملة، حتى أن مناهج تعليمها بدت خارج العصر، لإندحارها في موضوعات بائسة وتصورات سوداوية ظالمة.

وصارت أدمغة مجتمعاتها محشورة في زوايا دينية حادة، ومؤججة بأضاليل وأوهام وعواطف سلبية خانقة حانقة تدفع للإنتقام والإنهزام، فغاب العلم وتسيَّد الجهل والإحتران.

فالمطلب الشافي يتمثل بالإنطلاق في دروب العلم، والإهتمام بمناهجه وبمراكزه البحثية، وتشجيع إرادة الإبتكار والإختراع، وحث الشباب على الإبداع التقني والتكنولوجي اللازم للنهوض والبناء.

فلا خيار سوى الإستثمار في المستقبل العلمي للأمة، فعندها ستنتصر على التحديات وتؤسس لمنطلقات حضارية أصيلة.

فهيا إلى ميادين العلم والبحث العلمي!!

سادسا: العلم والحياة!!

الحياة في العلم وبدونه تنتفي معانيها وتطلعاتها نحو الأفضل، فالعلم يصنع الحياة، ويولد من رحمها، ويعني أن نعرف بالدراسة والبحث وإتخاذ المناهج العلمية وسيلة لمواجهة التحديات وتأمين الإرادات.

فالعلم يستحضر ما نريد، ومَن لا يجيد التفاعل العلمي لا يحصل على القوة والإقتدار.

والعلة الأساسية في مجتمعات الأمة تتلخص بغياب العلم ونكرانه بل ومعاداته، والتوهم بأن الحياة في الدين، وبدونه لا معنى للوجود والبقاء، مما يتسبب بتداعيات تشاؤمية وإستثمار في الأحزان والويلات اللازمة لترسيخ مفاهيم الإنهيار والإندثار.

ومن الواضح أن عقول الأمة أمعنت بغفلتها العلمية، وتمادت بالتركيز على ما لا ينفع، ولا يساهم في إطلاق الطاقات الكامنة في أعماق الجماهير الحية الواعية.

ويعود السبب للكراسي التي أعلنت ومنذ أكثر من قرنين أن الحياة في العلم، فوجدت العمائم الحافة بها ستتضرر من العلم، فأوهمت الكراسي بأن الحياة في الدين، فهو الذي يصنع القطيع التابع القابع، أما العلم فأنه يؤسس لسلوكيات لا يمكن ضبطها بالقوة والسلطان، ففي العلم حرية عقلية، وهي محرمة عند الذي يدعو للسمع والطاعة، وبأن القابع بالكرسي يمثل إرادة الرب وحسب، ومن لا يطيعه خارج عن الملة وعدو للرب والدين.

تلك حقائق مؤلمة لا يقترب منها المحسوبين على الفكر والفلسفة، ويتحركون حولها خشية المواجهة مع القوى المدمرة لمرتكزات الوجود القويم.

فهل من جرأة على التفاعل بعلمية مع منابع المآسي والويلات؟!!

سابعا: العلم والكرسي!!

العلم قوة تصنعها الإرادة السياسية، فعندما يكون في الكراسي مَن يؤمنون بطريق العلم، فأنه سيتأكد ويتطور وتتحقق وسائله وتبرز معطياته، والدعوة للعلم ليست جديدة في واقع الأمة، بل أن كلمة "إقرأ" في مضمونها دعوة للعلم والتعلم.

ومن الآيات:

"وقل ربِّ زدني علما" طه:114

"وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" الإسراء: 85

ومن الأحاديث النبوية:

"أطلبِ العلمَ ولو في الصين"

"أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"

لإيهام الأجيال بأنها تتفاعل مع الحياة!!

المستقبل علمي صناعي، والمجتمعات القوية تهتم بالبحث العلمي والإبتكارات التصنيعية، فالعالم يسير على سكة معبّدة بالعلوم، والدول المتقدمة تخصص ميزانيات ضخمة للنشاطات العلمية

يمكن تقدير القوة العلمية لأي بلد من براءات الإختراعات الممنوحة فيه، ومن الواضح أن دولنا تأتي في آخر القائمة

الدول القائدة للعالم هي الفائزة بأكثر براءات الإختراعات، وقد إنطلقت دول أسيا الشرقية في الربع الأخير من القرن العشرين نحو التأسيس لمراكز للبحوث العلمية، وحشدت الجهود لبناء القاعدة العلمية اللازمة لتقوية الحياة وتطويرها

لا خيار سوى الإستثمار في المستقبل العلمي للأمة، فعندها ستنتصر على التحديات وتؤسس لمنطلقات حضارية أصيلة

من الواضح أن عقول الأمة

"طلب العلم فريضة على كل مسلم "

فالإنطلاقة الحضارية العربية أدركت منذ إنبثاقها بأن العلم طريقها، ونهجها لبلوغ المقام الإنساني، والتعبير الأمثل عن قدرات العقل المتصل بنفحات الخلق الفياضة.

والواقع البشري يؤكد أن ما وصلت إليه الدنيا في حاضرها بسبب العلم، ونشاطات العقول وتفاعلاتها للوصول إلى أجوبة على التحديات التي تواجهها.

وكل فكرة بالمواظبة ستوصل إلى إبتكار ما يمثلها ويشاركها في الحياة.

ولا توجد فكرة خطرت على بال لم تجد لها ما يرمز لها بأساليب متنوعة فوق التراب.

وفي واقعنا المعاصر القوى السياسية فرضت أساليب التفكير العلمي على شعوبها، فانتقلت بها إلى مراحل متفوقة على غيرها من الشعوب المرهونة بتعطيل عقولها وتغفيلها ودفنها في الغابرات.

والأمثلة واضحة ساطعة تؤكدها عطاءات الشعوب المنهمكة بالعلم، وما يوصلها إليه من الإبتكارات المتعاظمة في أرجاء الدنيا، التي ترسم صورتها عقول لا تتعب من الإبداع الأصيل.

فهل لعقولنا أن تقتحم ميادين التفعيل؟!!

أمعنت بغفلتها العلمية، وتمادت بالتركيز على ما لا ينفع، ولا يساهم في إطلاق الطاقات الكامنة في أعماق الجماهير الحية الواعية

في العلم حرية عقلية، وهي محرمة عند الذي يدعو للسمع والطاعة، وبأن القابع بالكرسي يمثل إرادة الرب وحسب، ومن لا يطيعه خارج عن الملة وعدو للرب والدين

ثامنا: المُعاصَرة العلمية!!

الكلام عن المعاصرة لم يعد جديدا، بل من أقدم الموضوعات التي تناولها الكتاب والمفكرون العرب، وكثيرا ما أقرنت بالتراث.

والمغيّب في المعاصرة ماهيتها ومناهجها التي أغفلت، فالدنيا في عصر العلم، ولكي تتحقق المعاصرة لا بد أن تكون علمية أولا، وبعدها تأتي الحالات الأخرى.

فالأمم الغير قادرة على التفاعل العلمي المتجدد مع منطلقات عصرها، لا تستطيع أن تدّعي المعاصرة، مهما حاولت أن توهم نفسها في نشاطات أخرى أيا كان نوعها.

فعندما تنتفي المعاصرة العلمية تنهار أية معاصرة أخرى، فلكي تعاصر على مستويات الحياة المتنوعة، لابد من المعاصرة العلمية.

وهذه الغفلة وقع في مهاويها المفكرون العرب، وراحوا يتحدثون عن المعاصرة وكأنها مصطلح خيالي، وتجنبوا الخوض في صميمها العلمي، الذي تتولد عنه سلسلة من المعاصرات المتصلة به.

فالمجتمعات العاجزة علميا، لا يمكنها أن تخدع نفسها وأجيالها بأنها تعاصر في ميادين المعارف الأخرى، كالشعر والقصة والرواية، وغيرها من الإبداعات.

فخلو الساحة الثقافية من المعاصرة العلمية يتسبب بتداعيات سلبية، ويمنع نشاطات فكرية وأدبية متعددة.

وفي واقعنا العربي، توهمنا التجديد في الأدب بشتى نشاطاته، وما أتينا بما هو معاصر وجديد، وأصبحنا ندور في دوامة مصطلحات مبهمة، ومسميات مستوردة لا تمت بصلة للواقع الذي حُشرت فيه، وراح أصحابها يسوّقونها على أنها معاصرة وتواصل مع ما في الدنيا من ثورات معرفية متسارعة.

وهذا التخبط والإضطراب الإدراكي عوّق قدرات إنتاج المعرفة في واقعنا المأسور بما لا يعنيه، ففقد خصوصيته ونكهته ومميزاته وضاعت ملامحه، فصارت المعاصرة إقتلاع لحاضره ومستقبله وتدثر بماضيه.

فمجتمعاتنا هامت في متاهات المعاصرة، وياليتنا تحررنا من سطوة المصطلحات، وتعاملنا ببساطة ووضوح مع ما تمليه علينا حاجاتنا المادية والنفسية والفكرية والروحية، لنكون مبدعين أصلاء، وأصحاب معارف غير مسبوقة.

فهل لنا أن نعاصر بما فينا؟!!

الإنطلاقة الحضارية العربية أدركت منذ إنبثاقها بأن العلم طريقها، ونهجها لبلوغ المقام الإنساني، والتعبير الأمثل عن قدرات العقل المتصل بنفحات الخلق الفياضة

الأمم الغير قادرة على التفاعل العلمي المتجدد مع منطلقات عصرها، لا تستطيع أن تدّعي المعاصرة، مهما حاولت أن توهم نفسها في نشاطات أخرى أيا كان نوعها

المجتمعات العاجزة علميا، لا يمكنها أن تخدع نفسها وأجيالها بأنها تعاصر في ميادين المعارف الأخرى، كالشعر والقصة والرواية، وغيرها من الإبداعات

تاسعا: العلم جحيم ونعيم!!

السؤال الأزلي الذي يُعي الأجوبة، هو لماذا لكل علمٍ جحيم؟!!

فنعيم العلم لا يمكنه أن يتحقق إلا بمعية الجحيم، وبعض البشر يتخمون بالعلم والكثرة الغالبة يُسجرون في جحيماته الموقدة لإتلافهم.

فلا يوجد مُختَرَع أو نظرية علمية إلا وتمادت بصناعة الجحيمات قبل أن ينعم بها الناس، ولا إبداع مادي أو معنوي لم يكن أداة للتعبير عن الشر.

حتى الأديان والرسالات الدنيوية والسماوية صنعت جحيماتها وهي تتحدث عن النعيم!!

يبدو أن المشكلة تتصل بإرادة النفس الأمّارة بالسوء، التي عجزت طاقات العقول والأرواح، ومعايير الأخلاق والقوانين والدساتيرعن تهذيبها، وترويضها لتكون فاعلة إلى جانب الخير.

فهي ميّالة لسلوك الشر لأنه يمدها بطاقات مسعورة، ويحقق فيها إنفلاتات حامية تُشعرها بوجودها، وبقدرتها على التحكم بالحياة والسيطرة عليها وإمتلاكها.

هذه النفس لها قدرات فتاكة تؤهلها للهيمنة على الوعي الفردي والجمعي، وتدفعها بإتجاهات ذات تداعيات مريرة، وهي مستأنسة بها ومتفاعلة معها بقدرات مطلقة، تأخذها إلى ميادين الهلاك والإتلاف الدائب والسعير.

وتجدها متطلعة لأي إبتكار أو وسيلة ذات قدرة على تعزيز سلوكها السيئ، وإطلاق شرورها بكثافة عاتية.

ووفقا لهذا الميل العدواني المطمور في دياجير النفوس البشرية، فالعلم يتخذ من مذاهب الجحيم سبلا للتفاعل مع المستجدات، وبموجبه تتواصل الحروب وينحسر السلام والوئام في زوايا حادة، خائبة مرتعشة لا تصمد لبرهة من الوقت.

وتلك عاهة سلوكية فاعلة في الوجود الأرضي ويرتهن بها الخلق فوق التراب.

وستتواصل وتديم البقاء!!

عاشرا: العلماء والفقهاء والكراسي!!

يتوهم الغافلون لتراث الأمة بأن العلماء في مسيرتها لم يتناولوا مسألة الحكم بالدراسة والتحليل، ولم يضعوا المناهج والرؤى اللازمة لإقامة العدل، وتأمين حقوق المواطنين وصيانة الدولة وتحديد مهمات الحاكم، وما مطلوب منه للقيام بواجبه بما يرضي الله ويعدل مع الرعية ويحافظ على وجودهم العزيز.

وعندما نتفحص التراث المعرفي للأمة نجد العديد من الكتب والرسائل والنصوص، المدونة بجرأة وذكاء وحرص على ذات الأمة ودورها الإنساني، ومعظمها ترسم معالم الطريق السليم للذي يتولى أمور الدولة.

والمشكلة التي تسببت بتدمير مسيرة الحكم العادل، وتأسيس قدوة قيادية تحتذي بها الأجيال، هم فقهاء الكراسي الذين كانوا يحفون الشخص الأول، ويبررون سلوكه بفتاوى وتخريجات لا تتفق ومعايير الحكم الرشيد والإنصاف الحميد، مما أدّى لإنحرافات سلوكية توارثتها الأجْيال، ومضت على سكتها المضطربة الخالية من مبادئ ومعايير الصراط المُستقيم.

فهناك كتب ومخطوطات تعالج مسائل الحكم، وتضع المواد والضوابط السلوكية، الكفيلة بصلاحها ورجاحة آلياتها التشريعية والتنفيذية.

ويبدو أن الفقهاء المقربين من الكراسي، كانت لديهم معارف بنوازع النفوس وخبايا الصدور، وهؤلاء المبتلون بهذه الموهبة أو الفراسة، جلبوا الويلات على الأمة، لأنهم يقرأون خلجات الجالس على الكرسي ويأتونه بما يرضيها، فيغنمون أكثر ويفوزون بالجاه والحظوة.

وما ورد في كتب التأريخ يوثق العديد من تخريجات الفقهاء، المبنية على إرضاء رغبات أصحاب

مجتمعاتنا هامت في متاهات المعاصرة، وياليتنا تحررنا من سطوة المصطلحات، وتعاملنا ببساطة ووضوح مع ما تمليه علينا حاجاتنا المادية والنفسية والفكرية والروحية، لنكون مبدعين أصلاء، وأصحاب معارف غير مسبوقة

نعيم العلم لا يمكنه أن يتحقق إلا بمعية الجحيم، وبعض البشر يتخمون بالعلم والكثرة الغالبة يُسجرون في جحيماته الموقدة لإتلافهم

لا يوجد مُختَرَع أو نظرية علمية إلا وتمادت بصناعة الجحيمات قبل أن ينعم بها الناس، ولا إبداع مادي أو معنوي لم يكن أداة للتعبير عن الشر

يتوهم الغافلون لتراث الأمة بأن العلماء في مسيرتها لم يتناولوا مسألة الحكم بالدراسة والتحليل، ولم يضعوا المناهج والرؤى اللازمة لإقامة العدل، وتأمين حقوق المواطنين وصيانة الدولة وتحديد مهمات الحاكم

عندما نتفحص التراث المعرفي للأمة نجد العديد من الكتب والرسائل والنصوص، المدونة بجرأة وذكاء وحرص على ذات الأمة ودورها الإنساني،

الكراسي، وكأنهم كانوا يتاجرون بالدين، ويتربحون بفتاواهم ويغنمون.

قد لا يتفق البعض مع ما تقدم، لكن دور الفقهاء في تعطيل دور الأمة كبير، ويُذكر أن قادة الأمة أدركوا ضرورة العلم والمعارف المعاصرة، وأرادوا أن يتخذونها سبيلا للقوة والتقدم منذ بدايات القرن التاسع عشر، لكن فقهاء الكراسي إحتجوا وإعتبروها بدع ستدمر الأمة والدين، وكانت مواقفهم تلك هي المدمرة لوجود الأمة.

ويبدو أن حرص القادة على الكراسي وخوفهم من إثارة الشعب ضدهم من قبل الفقهاء، كان وراء إذاعنهم، وعدولهم عن إتخاذ سبيل العلم.

وكما نشاهد في الكراسي المؤدينة المعاصرة، كيف أنها حوّلت بعض دول الأمة إلى مرتع للفساد والرذيلة، بإسم الدين، الذي يتمنطق به المتاجرون بأسمى ما فيه، وهم يخدعون المغفلين، ويجهلونهم ويستعبدونهم بالدجل والتضليل والإفتراءات على الدين.

حادي عشر: المجتمعات تنجب العلماء!!

عدد العلماء يتناسب طرديا مع عدد الناس، أي كلما إزداد عدد الناس تزايد عدد العلماء، وهذا قانون فاعل في مسيرة البشرية، في العصور الخالية كان عدد الناس قليلا وكذلك العلماء، وبالقضاء على الأمراض السارية والمعدية، وزيادة الأعمار، تنامى عدد العلماء وتطورت المعارف بسرعة غير مسبوقة، كما هو الحال بعد منتصف القرن العشرين.

وبسبب الزيادة السكانية والعُمُرية، تحقق في العقود القليلة الماضية ما لم يتحقق بعدة قرون سابقة.

ويبدو أن البشرية لديها نوابغ في كل مكان وزمان، والذي يساهم ببروزهم الظروف البيئية، وقدرة الحفاظ على أمد الحياة.

والظاهرة لها علاقة بالموروثات الجينية، التي تؤسس لكينوناتها، فلا يجوز القول بأن مجتمع ما يخلو من العلماء.

ومن الأمثلة القريبة أن أمريكا والإتحاد السوفياتي سرقوا العلماء الألمان بعد الحرب العالمية الثانية، وإنطلقوا بواسطتهم نحو الفضاء، وأنجزوا ما أنجزوه بإسهاماتهم، وبعد بضعة عقود، أنجبت ألمانيا طوابير علماء في شتى المجالات، أعادوا هيبتها وقوتها العلمية والإقتصادية، فأخذت تصنع ما تريد.

وأمتنا لديها تأريخ حضاري علمي طويل، أسهم به علماء من شتى الأصول والأجناس تمازجت دماؤهم، وبذروا موروثاتهم في الأعقاب، فالأمة ذاتُ ذخيرة علمية كبيرة، وفي كل جيل جمهرة علماء، على أنظمة الحكم أن ترعاهم وتستثمرهم، لتتفتح قدراتهم الإبتكارية والتصنيعية اللازمة للقوة والإقتدار الأصيل.

إن القول بنضوب مجتمعاتنا من الطاقات العلمية، التي تعاصر وتتفوق وتؤسس لإنطلاقات كبيرة، أسلوب تضليلي وحرب نفسية تهدف للتخميد والترقيد.

فالأمة غنية بالعلماء وعليها أن ترى ما عندها وتؤمن بنفسها لتكون!!

ثاني عشر: كيف ينتعش العلم في ديارنا!!

العلم قائد الدنيا ومبعث القوة والإقتدار، والمجتمعات التي لا تقدّر العلم والعلماء في وهن وتبعية وخنوع.

والعلم في جوهره، نشاط صناعي إبداعي أصيل، بموجبه يتمكن الإنسان من تحويل أفكاره إلى موجودات مادية فاعلة في مسيرة الحياة.

والمجتمعات التي لا تصنع، تتدمر وتبتعد عن حاضرها، وتغفل مستقبلها وتنغمس بالغابرات، فالحياة المعاصرة تقودها إرادة إصنع، ولكل صناعة ونشاط علم، فما عادت الأمور تتحرك بعشوائية ورغباوية،

ومعظمها ترسم معالم الطريق السليم للذي يتولى أمور الدولة

يبدو أن الفقهاء المقربين من الكراسي، كانت لديهم معارف بنوازع النفوس وخبايا الصدور، وهؤلاء المبتلون بهذه الموهبة أو الفراسة، جلبوا الويلات على الأمة، لأنهم يقرأون خلجات الجالس على الكرسي ويأتونه بما يرضيها، فيغنمون أكثر ويفوزون بالجاه والحظوة

الأمة ذاتُ ذخيرة علمية كبيرة، وفي كل جيل جمهرة علماء، على أنظمة الحكم أن ترعاهم وتستثمرهم، لتتفتح قدراتهم الإبتكارية والتصنيعية اللازمة للقوة والإقتدار الأصيل.

القول بنضوب مجتمعاتنا من الطاقات العلمية، التي تعاصر وتتفوق وتؤسس لإنطلاقات كبيرة، أسلوب تضليلي وحرب نفسية تهدف للتخميد والترقيد

العلم يعني المعرفة والإيمان بالعقل الفاعل المتواصل مع التحديات القائمة، يواجهها بإبداعاته المتوافقة معها، وهذا يتطلب تعودا على مناهج التفكير العلمي، التي يجب أن تبدأ مع الإنسان منذ المراحل الدراسية الأولى، بل من البيت

ويتحكم فيها شخص أو بضعة أشخاص.

فالأمم القوية قائدها العلم.

العلم يعني المعرفة والإيمان بالعقل الفاعل المتواصل مع التحديات القائمة، يواجهها بإبداعاته المتوافقة معها، وهذا يتطلب تعودا على مناهج التفكير العلمي، التي يجب أن تبدأ مع الإنسان منذ المراحل الدراسية الأولى، بل من البيت والروضة، فمجتمعات الدنيا المتفوقة تعلّم الأجيال الصاعدة كيف يفكرون ويبصرون بعيون العقل، فيبدعون ويأتون بالجديد.

ولهذا تجد الإبداعات المتواكبة تنطلق من تلك المجتمعات بواسطة أفراد نبغوا في مجالات متنوعة، ولا تزال مسيرة الإبداعات الأصيلة تتحرك بدأب ونشاط وترفدنا بالفريد.

وتستطيع مجتمعاتنا أن تحقق قفزات حضارية متميزة في وقت قصير، إذا إتخذت مبادئ التفكير العلمي صراطا لها من قمة الهرم لقاعدته، ولابد للجالسين على كراسي السلطة أن يؤمنوا بالعلم، ويتخذونه منهجا أساسيا في الحكم.

ويبنوا قراراتهم وخطاباتهم على بحوث علمية ذات نتائج تخدم المجتمع، أما الحكم بإرادات قاصرة فأنه الضياع والدمار الأكبر.

فالمجتمعات المتقدمة ساستها يستندون في طروحاتهم على جمهرة باحثين، وعلماء متخصصين في الشأن الذي يتم التصدي له، وهي مجتمعات تعز العلماء، وتمنح الحصانة للمؤسسات العلمية وحرية التفكير والتنوير.

إن الثروة الحقيقية في العقل، ومن لا يجيد إستثمارها ينوء بمصير وخيم.

فارفعوا رايات العلم، وآمنوا بالعلم، ولا توهموا الناس بأن الدين ضد العلم، فالعلم طريق ساطع نحو الإيمان الصحيح.

وطلب العلم فريضة على المسلمين!!

والروضة

تستطيع مجتمعاتنا أن تحقق قفزات حضارية متميزة في وقت قصير، إذا إتخذت مبادئ التفكير العلمي صراطا لها من قمة الهرم لقاعدته

إن الثروة الحقيقية في العقل، ومن لا يجيد إستثمارها ينوء بمصير وخيم.
فارفعوا رايات العلم، وآمنوا بالعلم، ولا توهموا الناس بأن الدين ضد العلم، فالعلم طريق ساطع نحو الإيمان الصحيح

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa344-160123.pdf

***** ***** *****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار hgehge عشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 20على الويب

23 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2021.pdf